



التفسير الموضوعي لسورة الكوثر

أ. محمد عبدالله الحارس*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (2) إِنَّ شَاتِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3) ﴾

سورة الكوثر

* كلية التربية، الجامعة الأسمرية الإسلامية.

التفسير الموضوعي لسورة الكوثر

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الغر المحجلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه واستن بسنته إلى يوم الدين

أما بعد:

فإن الولوج في علم التفسير يحتاج لأرباب اللغة والفصاحة والبيان ومعرفة معاني كلام الله العزيز المتأن، وكذا أن يكون عالماً بالسنة النبوية المطهرة بعد درية ومران، وكذا الإحاطة بأنواع العلوم الشرعية جميعها حتى يكون قائماً بها في كل مكان،،

ولما انتشرت العلوم وتفرعت وانقسمت فروع الشريعة انبرى عدد من العلماء الكبار في استنباط وبيان مختلف الفروع الأخرى، فقد انتشرت أنواع العلوم المختلفة الخاصة بالتفسير ومنها: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، ثم جاء التفسير الموضوعي باعتبار أصوله ثابتة فقد أصّل له النبي - صلى الله عليه وسلم - منذ بدء الدعوة عندما نزل قول الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)¹ فقد جاء عن عبد الله بن مسعود قال: لَمَّا نَزَلَتْ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)².³

ولما كانت بضاعة الباحث من العلم مزجاة، ومن اللغة فقيرة، فإنه قد قلّد الأئمة الجهابذة العظام، وحاول أن يفهم ألف باء التفسير الموضوعي طرباً بما فعل ونشوانا بما أنجز.

¹ الأنعام 82

² لقمان 13

³ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، رقم الحديث 32، وبلغظ مختلف للإمام مسلم حيث جاء فيه: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالُوا أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، رقم الحديث 342.

وقد جاء تقسيم البحث على هذه الطريقة:

المقدمة: والتي نحن بصددھا

المبحث الأول: التفسير الموضوعي وفيه:

أولاً: تعريف التفسير الموضوعي

ثانياً: بعض كتب التفسير الموضوعي وفيه جانبان: أولاً: الكتب؛ ثانياً: البحوث.

ثالثاً: طريقة التفسير الموضوعي

رابعاً: أنواع التفسير الموضوعي

المبحث الثاني: تفسير سورة الكوثر:

أولاً: أسماؤها

ثانياً: فضائلها

ثالثاً: هل هي مكية أم مدنية

رابعاً: تفسير الآيات

خامساً: لطائف في تفسير سورة الكوثر

الخاتمة

المصادر والمراجع

أغراضها ومقاصدها

هدفها ومحورها

مناسبتها لما قبلها وما بعدها في ترتيب المصحف

السور والآيات التي تناولت موضوعها وأغراضها وهدفها

فإن وفقت فمن الله - تعالى - وإن كانت الثانية - ولا كانت - فمن نفسي والعلم منه براء،،

الله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد،،

والله أسأله التوفيق والسداد ،،

أولاً: تعريف التفسير الموضوعي:

أ. **التفسير لغة:** من الفسر، وهو الكشف والبيان، قال الراغب: إظهار المعنى المعقول. والتفسير مبالغة من الفسر. قال تعالى: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)¹ أي أحسن بيانا وتفصيلاً لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة².

وفي الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم، من حيث دلالاته على مراد الله - تعالى - منها حسب الطاقة البشرية.³

وقيل إن التفسير: هو كشف المراد عن اللفظ المشكل والتأويل⁴.

وعلم التفسير: هو علم يبحث في عن أحوال القرآن العزيز من حيث دلالاته على مراده بحسب الطاقة البشرية.⁵

ب. تعريف الموضوع:

الموضوع لغة: من الوضع، وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء كان ذلك وضع بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، يقال: ناقة واضعة: إن رعت الحمص حول الماء ولم تبرح، وقيل وضعت تضع وضيعة فهي واضعة، وكذلك موضوعة يتعدى ولا يتعدى. وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوز به إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به.⁶

وفي الاصطلاح: قضية، أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم.⁷

¹ الفرقان 33

² تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري، تح: هاشم محمد علي حسين مهدي، ن: دار طوق النجاة، ط: 1، 1421هـ-2001م، مج: 20، ص: 32.

³ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مط: عيسى الباي الحلبي وشركاؤه، بلا(ت، ر: ط) ج 2/ ص 03، مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، د: القلم، ط: الثالثة 1423هـ، 2000 م، 15

⁴ مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تح: هاشم الرسولي المحللاتي، د: إحياء التراث العربي، ط: الأولى 1406هـ-1986م، 11/1

⁵ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الفكر، ط: الأولى، 1428هـ، 2008م، 14/1.

⁶ المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار سعيد، 20، 23، ومباحث في التفسير الموضوعي، م/س، 15

⁷ مباحث في التفسير الموضوعي، م/س، ص 15

ت. تعريف مصطلح (التفسير الموضوعي) بعد أن أصبح علما على لون من ألوان التفسير فقد تعددت تعاريف الباحثين المعاصرين له. منها:

1. هو بيان يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده.

2. وعرفه بعضهم بقوله: هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظا أو حكما وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية.

3. وقيل: هو بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن الكرم في سورة واحدة أو سور متعددة.

4. وقيل: هو علم يبحث قضايا القرآن الكريم، المتحددة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة، بطريقة مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع.¹

5. وقيل هو: علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة قرآنية أو أكثر.²

ولعل التعريف الأخير هو الأرجح لخلوه من التكرار، وإشارته إلى نوعيه الرئيسين، أما التعاريف الأخرى فيغلب عليها طابع الشرح والتوضيح لمنهج التفسير الموضوعي.³

ويهتم التفسير الموضوعي بدراسة الموضوعات القرآنية على غير الصورة التقليدية في التفسير، وإنما بالنظر إلى الأبواب، كدراسة: الإيمان والكفر والتفان في القرآن، الأخلاق في القرآن، الرضا في القرآن، وهكذا. وهذا أسلوب عصري، لم يكن شائعا في تصانيف السابقين على سبيل الأفراد بالتأليف، إنما كانوا يراعون تتبع المصطلح القرآني من حيث الجملة. وهو مع حداثة، فإنه لا مانع منه ولا حرج فيه، بشرط التزام المنهج المعتمد في التفسير.⁴

ثانيا: بعض كتب التفسير الموضوعي:

علمنا أن علم التفسير الموضوعي يدرس القضايا بحسب دلالة الآيات القرآنية في القرآن كله. ولذلك قد عنى بعض المفسرون وأرباب العلوم الشرعية بالتفسير الموضوعي، لما له من حاجة في العصر الحاضر وكذلك اهتموا بدراسة القضايا الحديثة.

¹ المدخل إلى التفسير الموضوعي، 20؛ ودراسات في التفسير الموضوعي، زاهر عواض، 7.

² مباحث في التفسير الموضوعي، م/س، ص15

³ مباحث في التفسير الموضوعي، م/ن، 15

⁴ المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي، ن: مركز البحوث الإسلامية ليدز - بريطانيا، ط: الأولى، 1422 هـ، 2001 م

وهذه بعض الكتب والبحوث المهمة والمفيدة في هذا العلم:

أولاً: الكتب: أَلَّف العديد من العلماء والباحثين في مجال علم التفسير كتباً ومؤلفات يصعب حصرها وذكرها في هذه الوريقات، وكان لعلم التفسير الموضوع نصيب من هذه المؤلفات، وهناك من تكلم فيه بشكل مباشر أو ضمّنه تفسيره عند الحديث عن الآيات ومن هذه المؤلفات:

1. هدي القرآن إلى الحجة والبرهان لفضيلة الشيخ عبد الله سراج الدين.
2. هدي القرآن إلى معرفة العوالم والتفكير في الأكوان لفضيلة أستاذنا الشيخ عبد الله سراج الدين.
3. نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن للدكتور حسن ضياء الدين عتر.
4. التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن.
5. المنافقون في القرآن الكريم.
6. الطب والقرآن.
7. مباحث في التفسير الموضوعي، بقلم الدكتور: مصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة الثالثة، 1421 هـ، 2000م.
8. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلومه، بإشراف الدكتور مصطفى مسلم. جامعة الشارقة، الطبعة الأولى 1431 هـ، 2010م.

ثانياً: البحوث: يكفي الباحث بذكر نماذج من البحوث التي كُتبت في هذا العلم ومنها:

1. جهد الشاطبي في التفسير الموضوعي الكشفي، أحمد عثمان رحمان، بحث نشر في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بولة بدبي العدد 27 ربيع الآخر 1425 هـ، يونيو 2004م.
2. وقفات مع التفسير الموضوعي، عبد السلام حمدان اللوح، مجلة الدراسات الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الثاني، العدد الأول، يناير 2004م.

وهكذا جاءت جهود المعاصرين بأساليب مبتكرة في التفسير، تلي حاجة العصر، وتبرز إعجاز القرآن في أسلوبه ومضمونه وفي هدايته، وخصوصاً تلك التي التزمت منهج التفسير الذي قرره العلماء.¹

¹ علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح، ط: الأولى، 1414 هـ، 1993 م



ثالثاً: طريقة التفسير الموضوعي:

يعتمد هذا الأسلوب على دراسة لفظة، أو جملة، أو موضوع في القرآن، وهو أقسام:

1. أن يكون عرض الموضوع من خلال القرآن كله؛ كموضوع (صفات عباد الرحمن في القرآن).
2. أن يكون عرض الموضوع من خلال سورة؛ كموضوع (الأخلاق الاجتماعية في سورة الحجرات).
3. أن يستعرض المفسر لفظة أو جملة قرآنية، ويبين معانيها في القرآن؛ كلفظة (الأمة في القرآن)، وجملة {الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} ^{1,2}.

ولذلك يعد هذا النوع بأنه ضرب من البحث الفقهي أو العلمي في قضية من القضايا التي عاجلها القرآن الكريم، وهو ليس جديداً كل الجدة، لكن عدداً من الباحثين المحدثين تحدثوا عنه باعتباره منهجاً جديداً في التفسير.

ويحسن عند الحديث عن التفسير في السنين الأخيرة أن يشار إلى أن تفسيراً متوسطاً في حجمه، وفي أسلوبه، جمع فيه كاتبه خلاصة ما جاء في أشهر التفاسير القديمة بأسلوب واضح ميسر، ليكون في متناول جمهور القراء من غير المتخصصين، في زماننا، وهو (صفوة التفاسير) للشيخ محمد علي الصابوني، جزاه الله تعالى خيراً. ³

ولابد من الإشارة إلى أن مصطلح التفسير الموضوعي من المصطلحات المعاصرة جداً، إلا أن الفكرة التي يقوم عليها قديمة جداً أيضاً، وهو يقوم أساساً على فكرة الإدراك الشمولي والنظرة الكلية للأشياء والأفكار والقضايا، بعده بديلاً للتفكير والإدراك التجزئي. ⁴

¹ المائدة: 52

² فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، تح: محمد بن صالح الفوزان، ن: دار ابن الجوزي، ط: الثانية، 1423هـ.

³ محاضرات في علوم القرآن، أبو عبد الله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح، آل موسى فنج الناصري التكريتي، ن: دار عمار، ط: الأولى، 1423هـ، 2003م.

⁴ جهد الشاطبي (ت 790هـ) في التفسير الموضوعي الكشفي، د. أحمد عثمان رحمان، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد السابع والعشرون، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004م، 49



رابعاً: أنواع التفسير الموضوعي:

من خلال تتبع بعض المصادر والمراجع المتعلقة بالتفسير الموضوعي يجد الناظر أنه يندرج تحت ثلاثة ألوان:

اللون الأول:

أن يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها. ومثال الكلمات: الجهاد والأمة والصدقة والصدق والأمانة .. الخ.

اللون الثاني:

أن يتتبع الباحث الآيات الواردة في موضوع معين تعرّض له القرآن بأكثر من أسلوب، ويقوم بجمع كل ما يتعلق به، ثم يقوم بتقسيمه إلى فصول ومباحث حسب الحاجة، ودراستها بشكل موضوعي مستعينا باللغة والقراءات وغيرها من العلوم، ثم الكتابة فيها بشكل أنيق؛ وهذا هو اللون الشائع والمشهور بين أهل العلم.

اللون الثالث:

وهذا اللون شبيهه بالسابق إلا أنه اختص عن السابق بكونه يتحدث عن الموضوع الواحد في السورة الواحدة لا أكثر كما هو وارد في اللون الثاني. ويشمل البحث هدف السورة وسبب النزول والآيات التي عرضت الموضوع الأساسي للسورة، وقد تناوله العديد من المفسرين المحدثين لهذا اللون.¹

المبحث الثاني: التفسير الموضوعي لسورة الكوثر:

أولاً: أسماؤها:

1. الكوثر: وهو اسم توقيفي.²
2. إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ووجه التسمية أنها أول آية افتتحت بها السورة.³
3. النحر: ووجه التسمية أن النحر معروف في الإبل وهو غاية الكرم عند العرب.⁴

¹ مباحث في التفسير الموضوعي، م/س، 23 وما بعدها؛ ووقفات مع التفسير الموضوعي، عبد السلام حمدان اللوح، بحث منشور في مجلة الدراسات الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الثاني، العدد الأول، يناير 2004م. ص 21 (مخطوط)

² التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد لجنة من علماء التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط: الأولى 1431هـ، 2010م؛ 387/9

³ التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، م/ن، 387/9

⁴ التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، م/س، 387/9

ثانيا: فضائلها:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَعْفَى إِعْفَاءً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَعُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ سُوْرَةٌ فَقَرَأْتُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْتُرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَاحْزَرْ إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ثُمَّ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْكُوْتُرُ فَعُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ نَهَرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ مَا تَدْرِي مَا أَحَدَّثْتُ بَعْدَكَ زَادَ ابْنُ حُجْرٍ فِي حَدِيثِهِ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ وَقَالَ مَا أَحَدَّثْتُ بَعْدَكَ¹.

ثالثا: هل هي مكة أم مدينة:

اختلفوا في كونه مكة أم مدينة، فمن قال بأنها مكة ذكر بأنها تعد الخامسة عشرة في السور المكية، وقد نزلت بعد العاديات وقبل التكاثر، وقد ذكروا بأن النحر هو حصول البشارى بإقامة الدولة، وزوال الفقر والخوف. ومن قال بأنها مدينة ذكر بأنها نزلت بعد صلح الحديبية. وإذا صحت الروايتان فإنه يعني بأن السورة نزلت مرتين.²

رابعا: أسباب نزولها:

وردت أحاديث كثيرة في فضلها، واقتصر الباحث على حديثين اثنين فقط لأنها تحمل نفس المعاني مع الاختلاف في الألفاظ والمحدثين للأحاديث:

1. عَنْ أَنَسٍ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَعْفَى إِعْفَاءً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَعُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ سُوْرَةٌ فَقَرَأْتُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْتُرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَاحْزَرْ إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ثُمَّ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْكُوْتُرُ فَعُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ نَهَرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ³
2. قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ سُوْرَةٌ فَقَرَأْتُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْتُرَ حَتَّى خَتَمَهَا قَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكُوْتُرُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ نَهَرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي فِي الْجَنَّةِ⁴.

¹ صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال بالبسمة آية من أول كل سورة سوى براءة ر ق: 921، وسنن أبو داود/ كتاب السنة، باب الحوض ر ح: 4749.

² التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، م/س، 388/9

³ سبق تخريجه

⁴ سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب من لم الجهر ب (بسم الله الرحمن الرحيم) ر ح: 784.

ويؤخذ من الآثار الواردة في تفسير الكوثر بأنه نهر في الجنة خُصَّ به النبي ﷺ وأُمَّته، ومما ذهب به المفسرون بالرأي أن الكوثر هو المفرط في الكثرة ولهذا المعنى: إنا أعطيناك يا محمد من المواهب والفضائل الشيء الكثير الذي لا يعد ولا يحصى، وبهذا يعني: إنا أعطيناك يا محمد - تكريماً لك وإعلاءً لشأنك - الشيء الكثير في هذه الحياة الدنيا وفيما نحن ينتظرُك في الحياة الأخرى من نهر من الجنة ومن نهر لا يدخل تحت حصر ولا يحيط به الوصف وإن استخف بك أعداؤك وقالوا فيك ما قالوا، فإن ذلك من فساد عقولهم، ومن فساد إدراكهم.¹

رابعاً: تفسير الآيات:

1. قول الله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ): وقد قرئت (انطيناك) أي الخير الكثير، والفضل الغزير، من العلم والعمل وشرف الدارين الذي من جملة ما يعطيه الله - تعالى - لنبيه ﷺ، تم التنبيه مسبقاً .. ومن النهر الذي يقال له الكوثر، ومن الحوض طوله شهر وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء في كثرتها، واستنارتها، من شرب من شربة، لم يضمأ بعدها أبداً.² وقد جاء في تفسيرها أقوال ستة: أحدها نهر في الجنة، وثانيها: الخير الكثير الذي أعطيه النبي ﷺ، والثالث: العلم والقرآن، والرابع: النبوة، والخامس: أنه حوض النبي ﷺ، والسادس: أنه كثرة أتباعه وأُمَّته؛³ والكوثر فوعل من الكثرة وهو الخير الكثير والإعطاء على وجهين: إعطاء التمليك، وإعطاء غير تمليك، وإعطاء الكوثر إعطاء تمليك كإعطاء الأجر إذا تناول والشاني المبعض الأبتز أصله من الحمار الأبتز وهو المقطوع الذنب.⁴ وذكر الإمام القرطبي أن لها ستة عشر قولاً إلا أنه رجَّح القولين الأول والثاني.⁵
2. قوله تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ) أي قدم على الصلاة خالصاً لله تعالى خلافاً للساهي عنها والمرائي فيها شكراً لإنعامه، فإن الصلاة جامعة لأقسام الشكر، وقد خص هاتين العبادتين بالذكر لأنهما أفضل العبادات، وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقله في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من الأضاحي وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على

¹ التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب، إبراهيم بن حسن، الدار العربية للكتاب، 1994، 844

² تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: مجدي فتحي السيد، ومصطفى شتات، د: المكتبة التوفيقية، بلا ت، ر، ق) 1055، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو سعيد عبد الله البيضاوي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 2006-1427هـ، بلا ر: ط) 626/2.

³ زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تح: عبد الرزاق المهدي، د: الكتاب العربي، ط: الأولى 1422هـ، 2001م، 497/4-498.

⁴ مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، وقف على تصحيحه والتعليق عليه السيد هاشم الرسولي المحمدي، د: إحياء التراث العربي، ط: الأولى، 1406 هـ، 19866م، 702/10.

⁵ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، د: الفكر، ط: الأولى، 1428-2008م، 135/10.

محبه، والشح به،¹ وقد ذكر القرطبي في الآية ستة مسائل: الأولى: أقم الصلاة المفروضة عليك، والثانية: أنها متعلقة بالأضحية، والثالثة: أنه وضع اليد اليمنى على اليسرى، وقد ذكر فيها أقوال المالكية من عدم جوازها في الفرض وغير مستحبة في النافلة، والرابعة: اختلفوا في موضع اليد فقال بعضهم على الصدر وقال آخرون أنها فوق السرة، والخامسة: رفع اليدين في التكبير وفي الركوع وفي الرفع منه وفي السجود.²

3. قوله تعالى: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) أي مبغضك وذامك ومنتقصك هو المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر؛³ وهو العاص بن وائل، حيث سئل من قبل قريش مع من كنت واقفا فأجاب: مع الأبتَر، وكان يقصد النبي ﷺ، وجاء الخبر بقوله تعالى: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)، وقد كانت العرب تقال: لمن مات أولاده وبقيت بناته؛⁴ وقد كانت شائئوه لا يبغضونه لشخصه، لأنه كان محبباً إلى أنفسهم، بل كانوا يمجثون ما جاء به من الهدى والحكمة؛ لأنه سَفَّه أحلامهم، وعاب معبوداتهم، ونادى بفراق ما ألفوه ونُشئوا عليه؛ وقد قال الحسن - رحمه الله - عني المشركون بكونه أبتَر: أنه ينقطع عن المقصود قبل بلوغه، والله بيِّن أن خصمه هو الذي يكون كذلك.⁵

خامساً: لطائف في تفسير سورة الكوثر:

1. خاطبت السورة النبي ﷺ مذكرة له بنعتين هما: العطاء للخير الكثير في الدنيا والآخرة ومنه نهر الكوثر في الجنة، وبتز المبغض، وتأميره فيما بين ذلك بالصلاة والإخلاص فيها ونحر الأضاحي شكراً لله - تعالى - وهما عبادتان. فمحورها يدور حول المنحة بكل خير يمكن أن يكون.⁶
2. من لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها، لأن السابقة وصفت المنافع بأربعة أمور وهي: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة، فذكر هنا في مقابلة البخل قوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) أي الكثير، وفي مقابل ترك الصلاة (فَصَلِّ) أي دم عليها، وفي مقابل الرياء (لِرَبِّكَ) أي لرضاه لا للناس، وفي مقابل الماعون: (وَأَنْحَرْ) وأراد به التصديق بلحم الأضاحي، فاعتبر هذه المناسبة العجيبة.⁷

¹ تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، م/س، 1056

² الجامع لأحكام القرآن، م/س، 138/10.

³ تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، م/س، 1056

⁴ الجامع لأحكام القرآن، م/س، 139/10.

⁵ تفسير المرغي، أحمد مصطفى المرغي، د: إحياء التراث العربي، بلا (ت، ر: ط) 254/30

⁶ التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، م/س، 390/9؛ والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، 428/30؛

نسخة إلكترونية من منتدى الكتاب الإلكتروني الإسلامي

⁷ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د: التراث، بلا (ت، ر: ط) 39/1، ومباحث في

التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، د: القلم، ط: الثالثة، 1421هـ - 2000، 82

3. لما كانت سورة (الدين)¹ بإفصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق، كانت بإفهامها داعية إلى معاني الشيم، فجاءت الكوثر لذلك، وكانت الدين قد ختمت بأجل البخل، وأدى الأخلاق: المنع تنفيرا من البخل، ومما جره من التكذيب فابتدئت سورة الكوثر بأجود الجود: العطاء لأشرف الخلائق ترغيبا فيه، وندبا إليه، فكان كأن قيل: أنت يا خير الخلق غير ملتبس عليك بشي مما نحت عنه تلك المختمة بمنع الماعون.²
4. تضمنت السورة لونا من ألوان البلاغة متمثلة في وجه من البديع والبيان بين الافتتاحية والخاتمة، وهو المطابقة بين أول السورة وآخرها، بين (الكوثر) و(الأبتر) فالكوثر الخير الكثير، والأبتر المنقطع عن كل خير. واستفتحت بالحديث عن فضل الله تعالى لنبيه ﷺ واختتمت بإشارة الرسول ﷺ بخزي أعدائه ووصفت مبغضيه بالذلة والحقارة والانقطاع من كل خير في الدنيا والآخرة، بينما ذكر النبي ﷺ مرفوع على المنابر والمنائر، واسمه الشريف خالد على كل لسان على مر الدهور والأزمان.³
5. من لطائف السورة أنها كالتتمة لما قبلها من السورة وكالأصل لما بعدها من السور، فقد ذكرت السور السابقة لها تشريف الله ﷻ ولأئمة بعده من الفضائل والمزايا والمناقب في سور الضحى والانشراح والتين والعلق والقدر والبينة والزلزلة والعاديات والقارعة والتكاثر والعصر والهمزة والفيل وقريش والماعون ثم شرف الله سبحانه نبيه ﷻ في السورة من هذه الوجوه العظيمة، وكأنه يقول له إنا أعطيناك المناقب المتكاثرة والعظيمة المذكورة في كل سور القرآن المتقدمة التي كل واحدة أعظم من الدنيا ما فيها، فاشتغل أنت بالعبادة لله سبحانه، وإرشاد عبيده إلى ما هو أصلح لهم.⁴
6. إن خصائص القرآن الكريم تمثلت في هذه السورة كله، فكلماتها أفصح الكلمات، ولو بحثت عن كلمة لتحل مكان كلمة من كلماتها، وتؤدي معناها وجمالها فإنك ستظل عاجزا عن ذلك، ومعانيها هي الحق الذي لا ينقض، فليس فيه شطحة خيال، وهي في الوقت نفسه مذكرة وواعظة، وهي مربية ومعلمة ومشرفة ومبشرة ومفصلة ومبينة، وهي لا تتناقض مع بقية معاني القرآن الكريم.⁵

¹ أي سورة الماعون.

² التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، م/س، 390/9.

³ التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، م/س، 391/9.

⁴ تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي، د: الفكر، ط: الأولى 1401هـ- 1981م، 117/32؛ التفسير

الموضوعي لسور القرآن الكريم، م/س، 392/9.

⁵ التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، م/س، 393/9.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سيد الغر المحجلين وعلى آله وأصحابه ومن والاه إلى يوم الدين.

وبعد:

فبعد جولة ماتعة في الكتب والبحوث وما نُشر حول موضوع التفسير الموضوعي، وبخاصة تفسير سورة الكوثر، جاء هذا البحث - ولعله يكون قشة في كومة من الحطب النافع - ولقد عرّف الباحث من خلاله على تعريف علم التفسير، وتأصيله الشرعي وبعض الكتب التي تناولته بشكل مفصل وواضح، وكذلك ألوانه، ثم عرّج على أمّودج واحد وهو تفسير سورة الكوثر حسب ما ورد في كتب التفسير المختلفة وكذلك تنوع التفسير الموضوعي لها، بغية أن يشير إلى أهمية دراسة هذا الموضوع بشكل عام، ولقد تنوعت مصادر البحث ومراجعته من أجل أن تكون الفائدة أعم وأشمل.

ولقد جاءت الرحلة لتفسير سورة الكوثر باعتبارها أمّودجا من الكتب العزيز في جانب التفسير الموضوعي، وحاول الباحث قدر الاستطاعة الإمام بجوانبها المختلفة وزوايا المتشابهة والمتشابهة، وقد وصل في نهاية بحثه إلى مجموعة من الأمور التي يمكن استنتاجها ومن أهمها:

1. إن أصل علم التفسير الموضوعي كان في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما فسّر الظلم بالشرك.
2. إن التفسير الموضوعي يعطي آفاقا أخرى لدراسة كتاب الله - عز وجل - وطرقا أخرى ل تكن مستقلة فيما مضى من زمان غابر.
3. إن التفسير الموضوعي يبحث في ثلاث ألون: الكلمة في القرآن الكريم، ووحدة الكلمة في السورة، ووحدة السورة بأكملها.
4. تناول العديد من العلماء التفسير الموضوعي حتى ألفت فيه مؤلفات كبرى في وقتنا المعاصر.
5. سميت سورة الكوثر ب الكوثر وسميت ب(إنا أعطيناك الكوثر) والنحر؛ وقرئت ب أنطيناك.
6. اختلفوا في كونها مكية أم مدينة أم أنها نزلت مرتين.
7. جاءت عدة معاني للكوثر وأصحها كما أورده القرطبي: الخير الكثير ونهر في الجنة.
8. الصلاة جامعة لأقسام الشكر، وقد خصصها هي والنحر بالذكر لأنهما أفضل العبادات، وأجل القربات.



9. سورة الكوثر هي مقابلة للتي قبلها، فالسابقة وصفت المنافق بالبخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة، فذكر في السورة ما يقابلها.
10. حوت السورة لونا من ألوان البلاغة متمثلة في وجه من البديع والبيان.
11. من لطائف السورة أنها كالتتمة لما قبلها من السورة وكالأصل لما بعدها من السور.
12. إن خصائص القرآن الكريم تمثلت في هذه السورة كله، فكلماتها أفصح الكلمات، لا يمكن أن تحل كلمة مكان كلمة ولا جملة مكان جملة.

التوصيات

وخرج الباحث بمجموعة من التوصيات:

1. تدريس مادة التفسير الموضوعي في أقسام الدراسات الإسلامية في مراحل الجامعية والعالية وخاصة في الأقسام العلمية في كليات أصول الدين والشريعة.
2. توجيه الطلاب لتناول هذا النوع من التفسير في مراحل الماجستير والدكتوراه وكذلك في الكتب والأبحاث العلمية.
3. إثراء المكتبات العلمية بالكتب العلمية المختصرة والمفيدة في هذا الجانب.
4. التعاون في إقامة مؤسسة علمية خيرية تعنى بالتفسير الموضوعي في ليبيا.

والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد

وصل اللهم وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب المنشورة:

1. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو سعيد عبد الله البيضاوي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 2006-1427هـ، بلا(ر:ط).
2. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د: التراث، بلا(ت، ر: ط)
3. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين المرري، تح: هاشم محمد علي حسين مهدي، ن: دار طوق النجاة، ط:1، 1421هـ-2001م، مج: 20، ص:32.
4. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي، د: الفكر، ط: الأولى 1401هـ-1981م،
5. التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب، إبراهيم بن حسن، الدار العربية للكتاب، 1994.
6. تفسير المرغي، أحمد مصطفى المراغي، د: إحياء التراث العربي، بلا(ت، ر:ط).
7. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، 428/30؛ نسخة إلكترونية من منتدى الكتاب الإلكتروني الإسلامي.
8. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد لجنة من علماء التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط: الأولى 1431هـ، 2010م.
9. تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: مجدي فتحي السيد، ومصطفى شتات، د: المكتبة التوفيقية، بلا(ت، ر، ق).
10. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، د: الفكر، ط: الأولى، 1428-2008م.
11. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تح: عبد الرزاق المهدي، د: الكتاب العربي، ط: الأولى 1422هـ، 2001م.



12. سنن أبي داود.
13. صحيح مسلم.
14. علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح، الطبعة: الأولى، 1414هـ، 1993م.
15. فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، تق: محمد بن صالح الفوزان، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، 1423هـ.
16. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، د: القلم، ط: الثالثة، 1421هـ - 2000م.
17. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، وقف على تصحيحه والتعليق عليه السيد هاشم الرسولي المحلاتي، د: إحياء التراث العربي، ط: الأولى، 1406هـ، 1986م.
18. محاضرات في علوم القرآن، أبو عبد الله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح، آل موسى فَرَج الناصري التكريتي، الناشر: دار عمار، الطبعة: الأولى، 1423هـ، 2003م.
19. المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار سعيد.
20. المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزلي، الناشر: مركز البحوث الإسلامية ليدز - بريطانيا، الطبعة: الأولى، 1422هـ، 2001م

ثالثا: البحوث المنشورة

1. وقفات مع التفسير الموضوعي، عبد السلام حمدان اللوح، بحث منشور في مجلة الدراسات الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الثاني، العدد الأول، يناير 2004م. (مخطوط).
2. جهد الشاطبي (ت 790هـ) في التفسير الموضوعي الكشفي، د. أحمد عثمان رحمان، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد السابع والعشرون، ربيع الآخر 1425هـ، يونيو 2004م.



رابعاً: الموسوعات الإلكترونية:

1. المكتبة الشاملة.
2. المكتبة اللغوية الإلكترونية.
3. منتدى الكتاب الإلكتروني الإسلامي.
4. موسوعة الحديث الشريف، جمعية المكنز الإسلامي.